أثر الأصوات الحلقية في العربية واللغات السامية (دراسة موازنة)

الدكتورة آمنة الزعبي*

الملخّص

تحاول هذه الدراسة وضع قواعد لقانون الأصوات الحلقية، تستند إلى الاستعمال اللغوي الحيّ، وفي سبيل وضع هذه القواعد، فقد قدّمت الدراسة شيئاً عن حَيِّزِ الأصوات الحلقية، ونظرة القدامى والمحدثين للأصوات الحلقية، ثم بحثت الأصوات الحلقية بين العربية وأخواتها الساميات، وبعدها طرحت فكرة وجود قانون عام ينطبق على هذه المجموعة من اللغات، ورأت أنه تدخَّل في كثير منها تدخّلاً إلزامياً، في حين ظلَّ في العربية تدخّلاً اختيارياً، ساهم في وجود الصيغ البديلة أكثر مما هو عليه في اللغات الأخرى، وقد استعملت الدراسة المنهجين: الوصفي التحليلي والتاريخي المقارن.

* الجامعة الهاشمية – الأردن

* حيّز الحلق بين القدماء والمحدثين

ليس من اليسير أن نجمع بين إجمال العلماء القدماء لحيز الحلق، وتفصيل المعاصرين، فمهما بلغ حجم الاتِّفاق بينهما، فإنّ الخلاف في التقسيمات لن يكون ضئيلاً كما يتبدّى من تقسيم المخارج، فما يصطلح عليه القدماء بأنّه حلقي، لم يعد بالإمكان عدّه كذلك في ضوء علم التشريح الذي قسّم الأحياز النطقية في جهاز النطق، وجعل للحيز الحلقي قسمين رئيسين بعد أن أخرج منها الحيز الحنجري، الذي كان عند القدماء حيزاً حلقياً، قسمه العلماء القدامى إلى أقسام ثلاثة كما في تقسيم ابن سينا عندما ذكر أنَّها مركَّبةٌ من ثلاثة غضاريف: القسم الذي يبدو من الرقبة "يناله الجسُّ في المهازيل"، وهو الذي يبدو للناظرين في منتصف الرقبة من الخارج، ويسميه الناس الآن (تفاحة آدم)، وأما الغضروف الثاني فيقع خلفه مقابل سطحه المتّصل بالرباطات واسمه كما يذكر ابن سينا (عديم الاسم)[1]، وهو الذي يسمّى cricoid cartilage وهو على شكل حلقة ويستدير من الأمام إلى الخلف[2].

وأمَّا الغضروف الثالث، فقد سمّاه ابن سينا الطرجهالي أو المكبي، وقد وصفه بأّنه يبدو كقصعة مكبوبة، وهو منفصل عن الدرقي، ومربوط بـــ (عديم الاسم)من الخلف بمفصل مضاعف يحدث من زائدتين وتصعدان من (عديم الاسم)وتستقرَّان في نقرتين له[3].

وما عناه ابن سينا بالطرجهالي أو المكبي هو ما ينطبق عليه وصف علماء التشريح بالغضروف الهرمي الشكل arytenoids cartilage ولعلّ ابن سينا عنى ما يسميه التشريحيون في أيامنا هذه لسان المزمار epiglottis[4].

---

(1) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص12.

(2) Tortora, G., Principles of Human Anatomy, 10th Edition, P. 738.

(3) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص12.

(4) نقـــــــلاً عـــــــن: http://ijms.sums.ac.ir/files/pdfFiles/32_1/8-Dr%20Mesbah.pdf Mirza, Sepanta.

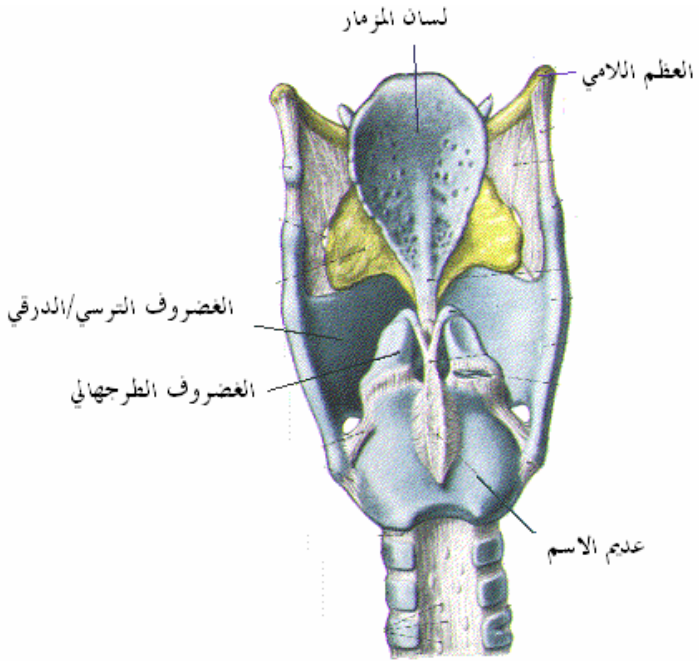

صورة من الخلف تبين أجزاء الحنجرة عن كتاب Tortora

وما يعنينا هنا هو أن العلماء القدماء قد أفلحوا كثيراً في وصف الحيز الحلقي، كما أفلحوا في تحديد سبب حدوث الحروف التي تخرج من هذا الحيز. وهذا ما يعنينا في هذا المقام، وإن كان هذا لا يمنع من القول إن المعاصرين سَمَّوْا أحد عشر غضروفاً[5].

* الأصوات الحلقية بين القدماء والمحدثين

ذكر ابن سينا نفسه أن الهمزة تخرج من حفز قويٍّ من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطرجهالي الحاصر زماناً قليلاً لحصر الهواء ثمَّ اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معاً[6].

(5) سمير إستيتية، الأصوات اللغوية، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، ص56.
(6) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص16.

وهذا الوصف هو ما ينطبق على وصف المعاصرين لهذا الصوت، فقد جعلوا إنتاج الهمزة يتمُّ على أربع مراحل: مرحلة الإغلاق closure phase ومرحلة الحجز hold phase ومرحلة الإطلاق release phase ومرحلة ما بعد الإطلاق the post release phase[7].

ولا يختلف هذا الوصف عن سابقه إلا من حيث الاصطلاح، وإن كان وصف علماء اللغة العرب لا يلتفت إلى هذه المراحل، ما عدا ما وجدناه عند ابن سينا، فهذا سيبويه يذكر أنّها صوت حلقي ولم يورد أنّها حنجرية أو وترية، ولكنه ذكر أنّها من أقصى الحروف الحلقية مخرجاً[8]، أي أبعدها عن الفم.

وهي صوت مجهور أيضاً[9].

وأما الهاء، فقد وصفه القدماء بأنه من أقصى الحروف الحلقية مخرجاً مشتركاً في هذا (البعد) مع الهمزة والألف[10]، وهو أيضاً وصف صحيح إذا اتّفقنا مع القدماء في عدِّ الحنجرة جزءاً من الحيِّز الحلقي، ولا نختلف معهم في أنّه هكذا إلا في قولنا إنّه صوت حنجري، فهم يعدون الحنجرة (أقصى الحلق).

كما أننا لا نختلف معهم في أنّه صوت غير مصوِّت (مهموس)، ورخو (احتكاكي)[11].

فقد ذكر المحدثون أن الهاء لا يتعدى كونه الانسياب الطبيعي للنفس الصادر من الرئتين دون أيِّ تدخُّلٍ من أعضاء النطق في جريانه، فيما عدا ارتفاع اللهاة لإغلاق المجرى الأنفي، وأنَّ هذا الصوت يتشكَّلُ نتيجة ارتطام الهواء أو احتكاكه بجداري

(7) Roach, P., English Phonetics and Phonology, P. 28.
(8) سيبويه، الكتاب، 433/4.
(9) سيبويه، الكتاب، 434/4، وابن جني، سر صناعة الإعراب، 69/1.
(10) سيبويه، الكتاب، 433/4.
(11) سيبويه، الكتاب، 434/4، وابن جني، سر صناعة الإعراب، 551/2.

الحنجرة فوق فتحة الوترين الصوتيين قليلاً، اللذين يظلانِ خاملينِ لا يتذبذبان، وكذلك اللسان والشفتان، وهذا هو الوضع الصوتي الأصلي، ولكن قد يحافظ الوتران الصوتيان في أثناء إصدار الهاء على تذبذبهما المصاحب لأصوات العلة إذا وقعت بين صوتي علة[12].

وقد أورد كمال بشر أن الهاء تتكون عندما يتَّخِذ الفم الوضع الصالح لنطق حركة كالفتحة مثلاً[13].

وهو أمرٌ مهمٌّ لدراستنا هذه.

فهذان الصوتان (الهمزة والهاء)، صوتان حنجريان، وعند القدماء هما صوتان يخرجان من أقصى الحلق، ولا فرق بين الفريقين سوى أن القدماء عدوا الحنجرة جزءاً من الحلق، فهي أقصى الحلق، وأما المحدثون فقد أوردوا أنهما حنجريان، وهي زيادة في التفصيل في المصطلح.

وأما الحاء والعين، فمخرجهما عند القدماء يسمّى وسط الحلق باعتبار أن الحنجرة هي أقصى الحلق، وهم يقيسون هذه التقسيمات على البعد عن الفم، فأبعدها الحنجرة (أقصى الحلق)، ولذا فإنَّ مخرج الحاء والعين هو وسط الحلق، ولكنه عند المعاصرين أقصى الحلق؛ لأنَّ الحنجرة ليست مكوِّناً من مكوِّنات الحيِّز الحلقي، وقد اتّفق القدماء والمعاصرون على أنّ الفرق بين الحاء والعين يكمن في الهمس والجهر، فالحاء صوت مهموس، وأما العين فهو مجهور[14].

واختلف المعاصرون في كيفية النطق، فبعضهم يرى أنّه صوت انفجاري، في حين يراه آخرون احتكاكيّاً[15].

(12) Al-Ani, S., Arabic Phonology, P. 59.
(13) كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات العربية، ص122.
(14) سيبويه، الكتاب، 433/4، وينظر: Al-Ani, S., Arabic Phonology, P. 65.
(15) Ashraf, M., Arabic Phonetics, Ibn Sina's Risalah…, P. xiii
وينظر: كمال بشر، علم اللغة العام، الأصوات العربية، ص121-122.

وذكر سلمان العاني أنَّ العين صوت وقف إلا إذا جاءت بين صوتي عِلَّة، فتكون عند ذلك صوتاً متوسِّطاً بين صوت العلّة والصوت الصامتي، فهي استمرار لصوتي العلّة المحيطين بها[16]، ومن هنا يأتي تأثرها بالحركات.

وأما أدنى الحلق (من الفم) فهو مخرج الخاء والغين فهما من الأصوات الاحتكاكية التي تخرج من أدنى مخارج الحلق من الفم[17]، ويشير المعاصرون إلى أنَّه صوتٌ أقصى حنكي (velar) يتمُّ إصداره بأن ترتفع اللهاة لإغلاق التجويف الأنفي، مع رجوع اللسان إلى الوراء قليلاً، ثمَّ يرتفع مؤخّر اللسان قليلاً باتجاه أقصى الحنك قريباً من اللهاة، فيمرُّ الهواء من خلال الفتحة المتبقّيةِ مهتزَّاً ومحتكّاً بالعائق المتكوِّنِ، ويظلُّ الوتران الصوتيان خاملين مع الخاء لا يهتزّان أيّ اهتزاز، في حين يهتزان في حال نطق الغين[18]، وهذا هو الفرق بين الخاء والغين.

ويمكن القول بعد هذا إنّ المخرج الحلقي ليس من المخارج التي تتيح للناطقين كثيراً من الحرّية في ضوء ما نعرفه عن النظام المقطعي للغة العربية، الذي لا يسمح بتوالي الحركات، وقد أوردنا ما قاله كمال بشر من أن الهاء تتكون عندما يتّخذُ الفم الوضع الصالح لنطق إحدى الحركات، كالفتحة مثلاً.

وأمّا الفتحة، فهي النظير المقابل لحركتي الضمة والكسرة اللتين عُدَّتا حركة واحدة في أصلهما عند بعض العلماء المستشرقين[19]، فقد ذهبوا إلى أنّ الواو والياء

(16) Al-Ani, S., Arabic Phonology. PP. 62-63.

(17) سيبويه، الكتاب، 4/433-434.

(18) كمال بشر، علم الأصوات العام، الأصوات العربية، ص121، وعبدالقادر جديدي، البنية الصوتية للكلمة العربية، ص111، وينظر:
Isteitiya, S., The Phonetics and Phonology of Classical Arabic as… P. 1, Al-Ani, S., Arabic Phonology, P. 34.

(19) يمكن أن نرضى عن هذا الحكم وظيفياً، وأما الرضا المستند إلى الأدلة اللغوية الجازمة، فنحن لم نصل إليه بعد، ولكنّ قبول الشعر لتعاقب الضمة والكسرة الطويلتين في القوافي يشي بهذا الأصل، كما في قول عبيد بن الأبرص في معلقته:
أقفرَ من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوبُ

كانتا حركة واحدة، وأما الفتحة في اللغات السامية، فهي حركة ثباتية، كانت آلات النطق توضع في وضعٍ يعين على نطقها، فهي حركةٌ كاملة وإن اختلفت أنواع نطقها اختلافاً جزئيًّاً ظاهراً، في حين لم تكن الضمة والكسرة تتمتعان بـــ (الثباتية) بل كانتا حركتين انتقاليتين ناقصتين ليس بينهما فرق معلومٌ ثابت[20].

ولا أبالغ إذا قلت إنَّ هذا البحث جديد، إذ إنَ القدماء قد أشاروا إلى أثر الأصوات الحلقية في بنية الكلمة إشارات عابرة كانت تركِّز على تفسير التغيُّر في الحركات دون أن يلتفتوا إلى القانون الذي يحكم هذه الظاهرة.

*** الأصوات الحلقية بين العربية واللغات السامية:**

من الأمور التي تلاحظ على تشكيل النظام الصوتي (الفونيمي) في اللغة العربية أنّها تشتمل على الأصوات (الحلقية) كاملة، إذ لم تتعرض العربية لأيّ تغير مطلق يخلِّصها من بعض هذه الأصوات[21].

وفي مقابل هذه الصورة، فإننا نجد أن اللغة الأكادية قد فقدت معظم الأصوات الحلقية السامية الأصل، وإن كانت احتفظت بصوت الهمزة في بعض السياقات

فَراكـــسٌ فثعالبـــاتٌ فذات فرقينِ فالقليبُ

وتمضي القصيدة كلها على هذا المنوال، ينظر: التبريزي، شرح القصائد العشر، ص413-424.

غير أنَّ الفتحة الطويلة لا تتعاقب معهما، لا في هذه القصيدة الجاهلية، ولا في غيرها مما يدلُّ على أنها حركة مختلفة، في حين أنّ الحركتين (الضمة الطويلة أو الواو المدّية، والكسرة الطويلة أو الياء المدّيّة) يمكن أن تلتقيا في جميع السياقات.

(20) برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص56.

(21) لقد تغيرت بعض الأصوات الحلقية تغيراً مقيداً في العربية، ولكنها حافظت على الصورة الأصلية لهذه الأصوات، فورد فيها صورتان نطقيتان للنمط الواحد، الصورة الأصلية، والصورة الحادثة التـــي تغير فيها الصوت الحلقي، كالتغير إلى القاف والكاف وغيرهما، ينظر: آمنة الزعبي، في علم الأصوات المقارن، التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، ص48-54.

الاستعمالية، واستعاضت عن بعض الأصوات الحلقية بأصوات العلة القريبة منها من حيث النطق، كالعين والحاء والهاء[22]، ولكنها حافظت على صوت الخاء[23].

ولا نجد صعوبة في تتبع وجود الأصوات الحلقية كاملة في اللغة العربية الجنوبية، ويشير إلى ذلك صراحة ذلك الجدول الذي أعدّه فاروق إسماعيل[24]، والمعجم العربي الجنوبي الذي أعده (Beeston) وزملاؤه.

وأما لغات المجموعة الشمالية الغربية (الكنعانية ولهجاتها العبرية والكنعانية (الفينيقية) والمؤابية والعمونية) و(الآرامية ولهجاتها: السريانية والمنداعية والنبطية والتدمرية وغيرها) فقد فقدت بعض هذه الأصوات، فضاعت منها الغين والخاء ضياعاً مطلقاً، فيما احتفظت بالهمزة والهاء والعين والحاء، مع حدوث كثير من التغيرات المقيدة عليها.

نستثني من هذه المجموعة اللغة الأوغاريتية التي احتفظت بهذه الأصوات كما هو الحال في العربية[25]، مع أنّ لكل لغة خصوصيتها في حدوث التغيرات المقيدة.

ويمكن أن نعيد السبب في هذا الاحتفاظ دون سائر أخواتها اللهجات الكنعانية إلى أن الأوغاريتية قد ماتت في وقت مبكِّر لم يسمح بتدخُّل قوانين التطور اللغوي تدخلاً قوياً فاعلاً[26].

---

(22) عامر سليمان، اللغة الأكدية، ص188.

(23) Moscati, S., An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages, P. 39, O'leary, D. L., Comparative Grammar of the Semitic Languages, P. 45, Lipinski, E., Semitic Languages Outline of A Comparative Grammar, P. 148.
وينظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبدالتواب، ص49.

(24) فاروق إسماعيل، اللغة اليمنية القديمة، ص61.

(25) إلياس البيطار، قواعد اللغة الأوغاريتية، ص39.
وينظر: Sivan, D., A Grammar of the Ugaritic language, PP. 26-27.

ونزيد هنا أنَّه من اليسير الحكم على التغيرات التاريخية المطلقة والمقيدة التي حدثت في الأنظمة الصامتية للغات السامية؛ بسبب وضوح هذه الأصوات في الأنظمة الكتابية لها، غير أن الحكم على تأثير الحركات في الصوامت أو تأثير الصوامت في الحركات مستحيل في اللغات السامية التي لم تطوِّر نظاماً كتابياً متكاملاً يختصُّ الحركات برموز مكتوبة، فكثير من اللغات السامية لم يطوِّر مثل هذا النظام الذي يعتدُّ بالصوامت ولا يعتدُّ بالحركات، وذلك كالأنظمة الكتابية للكنعانية ولهجاتها المختلفة، والآرامية ولهجاتها القديمة كالآرامية العتيقة في نقوش زنجيرلي ونيراب، وآرامية الدولة، والآرامية الوسيطة، والنبطية والتدمرية، في حين يمكن الحكم على هذه المسألة في اللغة السريانية؛ إنّ نظامها الكتابي طوَّرَ رموزاً للحركات كما حدث في العربية تماماً، كما يمكن الحكم على العبرية (إحدى لهجات الكنعانيين التي استعملها الغزاة من العبرانيين) للسبب ذاته.

كما يمكن الحكم باطمئنان على هذا الأمر في اللغة الإثيوبية الكلاسيكية (الجعزية) لهذا السبب.

وأما اللغة الأكادية فقد اتّخذت الكتابة المقطعية، وعلى الرغم من أنّها تتيح لنا قراءتها قراءة متكاملة، فإنّها لا تسعفنا في الحكم على التأثير المتبادل بين الحركات والصوامت.

* قانون الأصوات الحلقية بين العربية واللغات السامية

ستبحث هذه الدراسة في قانون نطلق عليه مصطلح قانون الأصوات الحلقية، ونعني به ما ينتج عن الأصوات الحلقية من أثر في حركة هذه الأصوات أو فيما

(26) لقد قُضِيَ على مملكة أوغاريت بفعل غزو قادم من البحر، وأحرقت مدينة أوغاريت في عام 1265 ق.م، وتمّ تدميرها النهائي بعد هذا بفعل زلزال ضربها عام 1200 ق.م، ينظر: يحيى عبابنة، اللغة الكنعانية، ص25.

يجاورها، مما ينتج عنه تغيير في سلسلة المقاطع التي تشكِّل النمط الاستعمالي الممثل في المفردة، وهو أثر قد يكون إلزامياً لا ينتج عنه تعدد في أشكال النمط الواحد ومكوِّناته الصوتية، وقد يكون اختيارياً تحافظ فيه اللغة على الصورة الأصلية بمكوِّناتها القديمة، والصورة الجديدة الناتجة عن تدخُّل قانون الأصوات الحلقية، وهي مختلفة من حيث المكوِّنات الصوتية عن الصورة الأصلية، بالزيادة عليها كما سيأتي.

- التدخُّل الإلزامي

من متابعتنا للأنظمة الصوتية الصرفية للغات السامية تبين لنا أن تأثير هذا القانون كان إلزاميّاً في بعضها، وذلك على النحو الآتي:

1- اللغة العبرية:

تتأثر النظم الصوتية بوجود أصوات الحلق في بنيتها الصوتية، فعلى سبيل المثال لا تدخل الشدة الثقيلة على حروف الحلق، وهي الهمزة والهاء والحاء والعين، وتلحق بها الراء من حيث الأثر نفسه، وإذا استدعى المقام تشديد أحد هذه الحروف فإنّها لا تشدَّد، بل تطوّل حركة المقطع السابق عليها تعويضاً عن هذا التشديد غير المتاح في هذه التشكيلات، وذلك نحو: bērek بمعنى باركَ وكان المفروض أن تكون birrēk بالتشديد.

ومثل ذلك أيضاً أنَّ أداة التعريف في اللغة العبرية هي الهاء، التي توضع في أول الكلمة المعرَّفة، مع تشديد الحرف الأول منها، كما في كلمة yōm بمعنى يَوْم، فعند التعريف تصبح hayyōm وكذلك سائر الأسماء، إلا إذا كان المكوِّن الأول من أصوات الحلق، عندها تمتنع عملية التشديد، وتلجأ اللغة إلى التطويل مثل ʿōf بمعنى طائر أو عصفور، فعند التعريف، يجب أن تكون haʿʿōf بالتشديد وفقاً للقاعدة العبرية، ولكنها

لا يمكن أن ترد مشدَّدَةً، بسبب حرف الحلق (العين)، بل تصبح hāʿōf بإطالة الحركة[27].

وقد أشار Weingreen إلى أنّه إذا كان الحرف الثالث من الكلمة حرفاً حلقياً، فإننا نضبط كلا مصدريه بالفتحة، وذلك كالفعل šāmaʿ إذ يجب ضبط مصدريه بالفتحة المستعارة، أي: šémōʷaʿ و šāmōwaʿ بمعنى سَمْع أو سماع[28].

وثمة مسألة مهمة في اللغة العبرية يُطْلَقُ عليها اسم الفتحة المستعارة، وتسمَّى فيها pattaḥ génūḇā (بتاح جنوبه) وهي فتحة ناتجة عن حروف الحلق بتدخُّلات تاريخية حدثت فيها، فمن المعروف أنَّ العبرية قد فقدت حركات الأواخر منذ أزمان غابرة من تاريخها، ولم يعد فيها أثر إعرابي قياسي إلا من بعض المتحجرات اللغوية التي تشير إلى أن الإعراب كان موجوداً يوماً ما، ولكن لمّا كانت الأصوات الحلقية (حروف الحلق) وصوت الراء في اللغات السامية عامةً تؤثر الفتحة بسبب اتّساع مجراها في الحلق، ولمّا كان أثر هذا القانون إلزامياً في العبرية، فإنّ تحريكها بالفتح أمر متوقَّعٌ، ولكن هذه الأصوات إذا جاءت في آخر الكلمة، فإنَّ تحريكها بالفتح (أو بغيره) أمر غير ممكن بسبب سيطرة ضياع حركات الأواخر على أيِّ أثر آخر، فإن اللغة تلجأ إلى أمر آخر، وهو أنَّه إذا جاءت الهاء والعين والحاء في آخر الكلمة مضبوطةً بفتحة قصيرة، فإنَّ هذه الفتحة لا تأتي تالية عليها كما هو متوقَّعٌ، بل إنّها تسبقها صوتياً، وأما إذا كانت حركة الحرف الذي يسبقها ضمة طويلة ممالة (حولام) أو ضمة طويلة خالصة (شوروق) فإنّها تنطق بالواو، وإن كانت كسرة طويلة ممالة (صيريه) أو كسرة طويلة خالصة (حيريق) فإنّها تنطق بالياء[29].

(27) رمضان عبدالتواب، في قواعد الساميات، ص17. وينظر: سيل، القواعد العبرية مع مراعاة لغة التوراة، ص17.

(28) آمنة الزعبي، مصادر الأفعال الثلاثية في اللغة العربية، دراسة وصفية تاريخية، ص197.

(29) محمد بدر، الكنز في قواعد اللغة العبرية، ص79، وعلي العناني وزملاؤه، الأساس في الأمم السامية وقواعد اللغة العبرية وآدابها، ص78، ورمضان عبدالتواب، في قواعد الساميات، ص19.

بقي أن نذكر أنَّ سبب تسميتها بالفتحة المستعارة هو أننا نستعيرها لياء أو واو ننطق بهما ولا نرسمهما، وتسمى الفتحة المسروقة أيضاً[30].

ويمكن القول إن تسكين الأواخر وضياع النهايات الإعرابية من اللغة العبرية قد ساهم في وجود الفتحة المستعارة فيها، زيادة على أنَّ الأصوات الحلقية تؤثر الفتحة دون سواها من الحركات، مما أدّى إلى وصول قانون الأصوات الحلقية إلى مرحلة الإلزام.

وفيما يأتي جدول لبعض الاستعمالات التي أثر الصوت الحلقي ببنيتها الصوتية[31].

الكلمة	معناها	الأصل	مظهر التأثر ونوعه
tāmōʷah /tāmēʸah	مندهش	tāmēh/tāmōh	فتحة مستعارة إجبارية
rēʸaḥ	ريح، رائحة، نكهة	rēḥ	فتحة مستعارة إجبارية
rūʷaḥ	روح	rūḥ	فتحة مستعارة إجبارية
gāḇōʷah	مرتفع (كالجبهة)	gāḇōh	فتحة مستعارة إجبارية
rāqēʸa<	لدن، مرن، جماد	rāqē<	فتحة مستعارة إجبارية
śīʾaḥ	حديث	śīḥ	فتحة مستعارة إجبارية
lūʷaḥ	لَوْح	lūḥ	فتحة مستعارة إجبارية
lūʷa<, lā<a<	لغا (من اللغو)	lū<, lā<a<	فتحة مستعارة إجبارية
nōṭēʸa<	زارع	nōṭē<	فتحة مستعارة إجبارية
yāḏūʷa<	معروف	yāḏū<	فتحة مستعارة إجبارية

(30) رمضان عبدالتواب، في قواعد الساميات، ص19، وأحمد ارحيم هبو، المدخل إلى اللغة السريانية، ص216.

(31) الأمثلة على هذه الفتحة كثيرة لا نهدف إلى إحصائها، ولكننا نورد الأمثلة الواردة هنا للتمثيل على مدى تأثير هذا القانون في اللغة العبرية، ومن أجل توثيق هذه الأمثلة، يراجع: قوجمان، قاموس عبري عربي، ص1016، 876،91، 896، 867، 938 وغيرها، ورمضان عبدالتواب، في قواعد الساميات، ص19، ويراجع: Gesenius, A Hebrew & English Lexicon of the Old Testament, P. 531, 534,

والأمثلة أكثر من أن تقوم هذه الدراسة على أمر إحصائها في جداول، ويمكن أن نستنتج من عرض هذه الأمثلة أنَّ أثر الأصوات الحلقية في العبرية يتركّز في ظهور الفتحة المستعارة في كثير من أنماطها الاستعمالية التي تخضع لهذه الظاهرة، ويختلف هذا عن العربية في أنَّهُ ناتج عن عمليتين لغويتين، الأولى: سقوط الحركات الإعرابية في أغلب أمثلتها، والثاني: أثر الأصوات الحلقية في بنية الكلمة، كما أنّ هذا الأثر في العربية أثر اختياري، مما أدى إلى وجود صِيَغٍ بديلة، في حين نجده في العبرية إلزامياً، مما لم يتح وجود صِيَغٍ بديلة لا تخضع لتأثير الأصوات الحلقية.

2- اللغة السريانية:

وأما اللغة السريانية، فالأمر لا يختلف من حيث إلزامية القانون، ولكنها لم تصطنع ما يطلق عليه الفتحة المستعارة أو المسروقة، غير أن الأثر يبدو واضحاً في البنية الداخلية للكلمة، وذلك كما في اسم الفاعل فيها، فالمعروف أنّه يصاغ فيها على وزن (pā<el) كالعربية تماماً كما في كلمة (kāṯeb) بمعنى كاتِب، وsābeq بمعنى تارك، غير أنَّه إذا جاءت عين أصله من أصوات الحلق، فإنّه يجب أن تُحرَّك بالفتحة بتأثير أصوات الحلق التي تؤثر الفتحة، كما في العربية، وجاء في الاستعمال السرياني pālaḥ بمعنى (خادم)، وكان القياس أن تأتيَ (pāleḥ) بالكسرة الممالة أو ما يسمّى (الحركة المجهولة)، غير أن اللغة فتحت الحاء؛ لأنَّها من الأصوات الحلقية[32].

ومثل ذلك ما يمكن أن نصوغه من الفعل sélaḥ بمعنى نجح أو (صلح) حرفياً[33]، فهو sālaḥ بالفتح، والقياس أن يكون sāleḥ بالكسرة القصيرة الممالة.

(32) فولوس غبريال وأفرام البستاني، اللغة السريانية النصوص والصرف، ص25.

(33) Costaz, Syriac English Dictionary, P. 302.

ومثلة pāṯaḥ بمعنى (فاتح) من الفعل péṯaḥ بمعنى فتح، و maḇlaʿ بمعنى جارح، من الفعل bélaʿ بدلاً من maḇleʿ و méḇakkar بمعنى مثمر، بدلاً من méḇakker على القياس[34]، إذ نلحظ أنَّ التغيُّر كان ناتجاً في كلِّ مرة عن تأثير الصوت الحلقي.

ومنها yāḏaʿ من الفعل īḏaʿ بمعنى عارف (من المعرفة)، وقياسه أن يكون yāḏeʿ ولكن الدال فتحت بتأثير العين[35].

3- اللغة الإثيوبية:

ونعني بها اللهجة الجعزية، وهي اللهجة التي استقرت في الحبشة أو إثيوبيا من الأراضي الإفريقية، وقد وصفت بأنّها من أقرب اللغات المسماة اللغات السامية إلى اللغة العربية، وقد وضع أبو حيان الأندلسي كتاباً يقارن فيه هذه اللغة باللغة العربية أطلق عليه اسم جلاء الغبش عن لسان الحبش[36]، ذكر أنّه أورد فيه أوجه الشبه الكثيرة بين اللغتين، وهو موضوع هذه الدراسة.

ويتحكم بهذه المسألة في الإثيوبية ثلاثة قوانين:

- القانون الأول ينصُّ على أنّه إذا تبع الفتحة القصيرة في نفس المقطع أحد حروف الحلق، فإنَّ هذه الفتحة تُطَوَّل، وذلك نحو maʾkala فقد سُبِقت الهمزة (الحلقية) بالفتحة القصيرة، وعند هذا، انطبق القانون فأطيلت الفتحة، فصارت الكلمة māʾkala بمعنى (في وسط)، ويستثنى من هذا القانون صيغة (أفعل) مثل ʾaḥšama بمعنى (أثم)، وصيغة جمع التكسير المبدوء بالألف مثل ʾaḥzāb بمعنى شعوب، ويرى بروكلمان أنّ إطالة الحركة دليل على سقوط الهمزة وإن كانت ثابتة في الخط.

(34) أحمد ارحيم هبو، المدخل إلى اللغة السريانية، ص216.

(35) رمضان عبدالتواب، في قواعد الساميات، ص .

(36) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 162/4، وينظر: رمضان عبدالتواب، دراسات وتعليقات في اللغة، ص186.

- القانون الثاني ينص على أنّه إذا جاءت الفتحة القصيرة متبوعة بحرف حلقيّ، مشكل بغير الفتحة (القصيرة والطويلة) قلبت الفتحة القصيرة إلى (e) وذلك مثل: naša>ū التي تتحوّل إلى naše>ū ويستثنى من ذلك الكلمات التي تزاد في أول الكلمة لأنها في حكم المستقلة ، فلا يقال leḥezb بدلاً من laḥezb .

- القانون الثالث، وينصُّ على أنَّه إذا جاءت الكسرة الممالة متبوعة بحرف حلقي مفتوح فتحة قصيرة، قلبت الكسرة إلى فتحة، بسبب قانون المماثلة مثل كلمة yéḥawer التي تتحوّل إلى yaḥawer[37].

وفيما يلي جدول يمثِّل بعض الأنماط اللغوية من الإثيوبية الكلاسيكية (الجعزية) مع بيان موضع التأثر:

الكلمة	معناها	الأصل	مظهر التأثر ونوعه
>abda yé>bad	**أبدَ، توحّشَ، غَبِيَ**	>abda yé>béd	**إجباري** a < e
>abaya: yé>bay	**أبى يأبى، رفض**	>abaya: yé>bi	**إجباري** a < i
>akala: ye>kal, yé>kél	**كال من الكيل**	>akala: yé>kél	**اختياري** a < e
>akaya: yé>kay	**ساء صار شريراً**	>akaya: yé>ki	**إجباري** a < i
>amna: yé>man	**آمن، صدّق**	>amna: yé>mén	**إجباري** a < e
>anama: yé>nam, yé>ném	**نسج يخطط أو يتمايل**	>anama: yé>ném	**اختياري** a < e
bé>sa: yéb>as	**بَئِسَ، ساءَ**	be>sa: yéb>és	**إجباري** a < e
gé>za: yég>az	**عاف، مقت**	ge>za: yég>éz	**إجباري** a < e
gab>a: yégbā>	**جبأ، عاد، رجع**	gab>a: yegbé>	**إجباري** ā < e
ḫab>a: yéḫbā>	**خبَّأ، أخفى**	ḫab>a: yéḫbé>	**إجباري** ā < e
re>ya: yér>ay	**رأى**	ré>ya: yér>i	**إجباري** a < i
zar>a: yézrā>	**زرع، ذرأ**	zar>a: yézré>	**إجباري** ā < e

(37) رمضان عبدالتواب، في قواعد الساميات ص257-258. وينظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية، ص 41.

sa>ama: yés>am	**صاح، صرخ أعاد الصوت**	sa>ama: yés>ém	**إجباري** a < e
lak>a: yélka>	**أكمل بنجاح، أنهى**	lak>a: yélké>	**إجباري** ā < e
mō>a: yéma>, yému>	**دمّر، أباد، حطّم**	mō>a: yému>	**اختياري** a < u
né>da: yén>ad	**علا، ارتفع (شأنه) شرُفَ**	né>da: yén>éd	**إجباري** a < e
né>sa: yén>as	**صغُرَ، قلَّ**	né>sa: yén>és	**إجباري** a < e
had>a: yéhdā>	**هدأ، عاش في سلام**	had>a: yéhde>	**إجباري** ā < e

هذه هي اللغات التي أسعفتنا نظمها الكتابية الموثوقة في الحكم على مسألة تأثر الحركات بالصوامت الحلقية، وتأثر الصوامت الحلقية بالحركات فيها، غير أنّ عدداً من اللغات لم نتمكن من رصد هذا التأثير فيها، بسبب نقص نظامها الكتابي وقصوره عن التعبير عن الواقع الصوتي الفعلي للحركات، كما في الكنعانية ولهجاتها التي لم تبتدع نظاماً كتابياً يعبِّر عن الحركات فيها، كالأوغاريتية والمؤابية واليبوسية والعمونية، والبونية، وغيرها، كما هو الحال في الآراميات القديمة ما عدا السريانية، وهو ما يقال عن العربية الجنوبية، والكتابات التابعة للخط المسند التي عبرت عن بعض اللهجات العربية الشمالية كالصفاوية والثمودية واللحيانية، واللهجات الجنوبية كالحميرية والقتبانية وغيرهما.

وقد ذكرنا سابقاً أنَّه لا يمكن الحكم على هذا التأثير في الكتابات الأكادية لسببين: الأول منهما أن الأكادية ولهجاتها (البابلية والآشورية وأكادية تل العمارنة) قد خلت من أغلب الأصوات الحلقية، ولم يبقَ منها إلا الخاء وبعض مظاهر الهمز، والثاني هو أنَّ كتابة هذه اللهجات كانت مقطعية وهو أمر يحدُّ من الاجتهاد في القياس على غيرها من اللغات على أقلِّ تقدير.

- التدخّل غير الإلزامي:

ويخصُّ اللغة العربية وحدها من اللغات التي عبّرت أنظمتها الكتابية عن الحركات (اللغات التي وضعت نظاماً واضحاً للحركات في كتاباتها).

وسيأتي تفصيله في الفقرات الآتية.

- مظاهر تأثير القانون في اللغة العربية

ينبغي الإشارة أولاً إلى بعض الأمور التي تخص النظام العام للغة العربية فيما يخصُّ هذه المسألة، ومن أهمِّها أن اللغة العربية قد ظلَّت محتفظة بأغلب العناصر الصوتية، والعناصر فوق الصوتية (التطريزات)[38] التي كانت تحتويها السامية الأمّ[39].

ويقود هذا الحكم إلى الإشارة إلى أنَّ اللغة العربية ظلت محتفظة بمظهر تركيبي مهمّ، وهو حركة الإعراب التي تلحق أواخر الكلمات المعربة، كما احتفظت بعنصر حركة الآخر للأنماط غير المعربة، وهي أنماط قد لا تتحكم بها بالضرورة قضية هذا البحث، فحركة الإعراب لها أحوال مخصوصة لا تكاد تخرج عنها معيارياً، وهي

(38) التطريزات مصطلح يعبِّر به علماء اللغة عن بعض أدوات اللغة التي لا يوجد لها تمثيل حرفي، وليست صوتاً من الأصوات المعيارية التي يمكن رسمها، بل هي طاقات فوق صوتية (فوق تركيبية) superasegmental phonemeتتدخل تدخّلاً قوياً في تحديد المعنى، ولكن لا يمكن ملاحظتها كتابياً، بل يمكن ملاحظتها ملاحظً قوية في لغة الخطاب (الشفاهي)، كالنبر والتنغيم وطول الموجة والتغوير palatalization وغيرها، وتسمى البروسودات أيضاً، ينظر: فوزي الشايب، محاضرات في اللسانيات، ص125-126، وأحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص241-244.

(39) مصطلح السامية الأمّ مصطلح غير علمي، ويقصد به اللغة الأم لمجموعة من اللغات التي يطلقون عليها مصطلح اللغات السامية، وهو مصطلح عمد المستشرق شلويتزر إلى استعماله (وهو أمر ينطبق على مصطلح الساميين) انطلاقاً من رؤى التوراة غير العلمية التي ترى أنَّ البشر ينتمون إلى أبناء نوح النبي عليه السلام، وهم سام وحام ويافث، وأن العرب والعبرانيين والآشوريين والأحباش والعيلاميين (؟) والحيثيين (؟) وغيرهم من الشعوب هم أبناء سام بن نوح، وقد تكلّم نسلهم بلغة يسميها المستشرقون: السامية الأم، وهي لغة مفترضة لا يمكن التحقق منها حتى الآن، لعدم توافر نصوص لها، وهو أمر تابعه بعض علماء العربية، ينظر ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، ص33-34، والسيوطي، رفع شأن الحبشان، ص32-34، والسيوطي أيضاً، أزهار العروش في أخبار الحبوش، ص44-49، وتستعمل دراستنا هذه حزمة المصطلحات التي تنطلق من هذا الأمر لانتشار المصطلح بين الدارسين أكثر من انتشار مصطلحي: اللغات الجزرية واللهجات العربية القديمة).

حركات الضمة للمرفوع، والفتحة للمنصوب والكسرة للمجرور، وحالة اللاحركة للمجزوم (من الأفعال).

كما أن حركات البناء تمتاز بنوع من الثبوت لم يسمح بتدخل مثل هذا القانون.

وأما حركة المقطع الأول التي حافظ النظام المقطعي على وجودها بالكيفية الأصلية القديمة دون تدخُّلٍ من القوانين الخاصة التي فعلت فعلها في بعض اللغات، كالسريانية والعبرية اللتين ترفضان الحركة القصيرة في المقطع المفتوح، فقد شاءت ظروف اللغة العربية أن يبقى فيها المقطع القصير المفتوح والقصير المغلق والطويل المفتوح دون مانع صوتي، والطويل المغلق (مع بعض الصعوبات والشروط التي تشترط لقبوله).

ومن هنا، فإنّ أثر قانون الأصوات الحلقية الذي تسعى هذه الدراسة إلى عرضه وتحاول إثباته لا يبدو مشابهاً تماماً لما هو في العبرية والسريانية والإثيوبية، بل إنّ النظام المقطعي للغة العربية قد ساهم في الحدِّ من تأثيره فيها، وينبغي ألاّ يفهم من هذا أن تأثيره محدود في العربية، بل ما نودُّ قوله هو أنّ هذا التأثير مختلف من حيث الآثار، فهو غير ممكن الحدوث في آخر الكلمة؛ لأنّ الكلمة العربية متحركة الآخر إعرابياً أو بنائياً، مما يعني أننا لن نجد له أثراً يشبه ما رأيناه في العبرية من مسألة الفتحة المستعارة (في حدود ما قامت الدراسة بحصره من أمثلة)، وهو أمر خصوصي في العبرية، إذْ إننا لا نجد له مثيلاً في السريانية أيضاً، وهي من لغات المجموعة الشمالية الغربية، القريبة من العبرية، وهذا يؤكِّد أنَّ لكلِّ لغة خصوصيتها.

كما أنّ تأثيره غير واضح بتأثير الصوت الحلقي إذا كان فاءً للكلمة إلا في بعض المواضع، لأنَّ فاء الكلمة يجب أن تكون متحرِّكة أصلاً في حالة ما إذا كان مجرّداً، كما أنَّ تسكينه أو تغيير وضعه البنائي في حالات أخرى يرتبط بالبنية المقطعية للعربية لا بتأثير أصوات بعينها، فتسكين الفاء في الفعل المضارع مثلاً لا يخضع لنوع

الصوت أو مخرجه، بل يخضع لاعتبارات مقطعية، والأمر نفسه هو ما يمكن أن نقوله في حالات السوابق واللواحق.

وعلى هذا، فإنَّ أمر ملاحظة تأثير الصوت الحلقي يخصُّهُ نفسه إذا كان عيناً للكلمة، في الأسماء والمصادر على الأغلب، وقد يبدو أثره في بعض الأفعال.

ومن الجدير بالإشارة إليه أيضاً، أنَّ تدخُّل هذا القانون هو تأثير غير إلزامي (اختياري)، بمعنى أنّه قد يتدخَّل مُحْدِثاً أثراً واضحاً في الكلمة، فيؤدّي إلى نشوء نمط جديد يدخل في الاستعمال اللغوي على أنّه لهجة أو صيغة بديلة (اختيارية) alternative form وقد لا يتدخّل في البيئة نفسها في أنماط أخرى، فتظلُّ على حالها الأصلي، وهذا الأمر خلاف ما جاء في اللغات التي تدخَّل فيها، وأشرنا إليها سابقاً، إذ كان تدخُّلُهُ إلزاميًّاً.

ويمكن أن نعيد عدم إلزاميته في العربية إلى نقاء اللغة العربية من التدخُّلات القوية الحادة للغات المجاورة، مما دفع إلى تحصين اللغة العربية القوي من التأثر الحاد بها، فلم يأخذ هذا القانون مداه في العربية بالسرعة التي استغرقها في اللغات الأخرى.

ولم يكن هذا القانون بمنأى عن إدراك علمائنا العرب القدامى، فقد فطنوا إلى أثره في بنية الكلمة، فقد كانوا يشيرون إليه في كثير من المواضع، بقولهم: فتح (النمط) لأجل حرف الحلق، أو ما شابه هذا من عبارات تشي بوعيهم الكامل بهذا التأثير[40].

وهذا ابن درستويه يقول: "سَهَمَ وجهُهُ فهو ساهمٌ، ولا ينكرُ فتح مستقبله؛ لأنَّ ثانيه من حروف الحلق، والعامّة تقول: سَهُمَ بضمِّ الهاء من الماضي، وهو خطأ"[41].

(40) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: الزمخشري، الكشاف، 645/1، 396/2، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 227/4، 352/6، ابن منظور (دهر) 338/4، (سحر) 406/4، وغيرها كثير، وسيأتي في عرض المادة لاحقاً.

(41) ابن درستويه، تصحيح الفصيح وشرحه، ص52.

وفي سبيل توضيح هذا القانون، قامت الدراسة بجمع المادة من مصادرها، ككتب التفسير والقراءات ومعاجم اللغة، ثم عمدت إلى تقسيمها بحسب الأصوات الحلقية وتقسيمها وفقاً لترتيب المخارج، مبتدئين بأقصى الحلق (الحنجرة)، وفيها صوتان: الهمزة والهاء، ثم أصوات وسط الحلق بتعبير القدماء، وهما صوتان: العين والحاء، ثم أدنى الحلق، وفيها صوتان أيضاً، وهما الغين والخاء.

أولاً: الأصوات الحنجرية (أقصى الحلق):

وهما صوتا الهمزة والهاء.

* **الهمزة:**

لقد وضع (الساميون) حرف الهمزة فوق كل الحروف، ولعل هذا الوضع لا ينطلق من أي رؤى علمية، بل هو ترتيب ديني على الأرجح، فاسم حرف الهمزة هو (الألف)، ومعنى هذا الحرف وفقاً للطريقة الاجتزائية (الأكروفونية)[42] التي حكمت ابتداع النظام الكتابي الأبجدي هو الثور، ونحن نعرف أن الثور هو أحد أهم المعبودات القديمة في المنطقة، وكان رمزاً للصنم (بعل)، وهو الصنم الذي يأتي في الدرجة قبل الأخيرة لمجمع الآلهة الكنعانية.

ومن هنا، فقد كان حرف الهمزة الحرف الأول في الترتيب الأول لعددٍ من الأنظمة الكتابية السامية، كما في العربية والعبرية واللهجات الكنعانية المختلفة والآراميات القديمة والوسيطة، والكتابات السريانية، والكتابات العربية القائمة على الخط المسند (كالكتابات الصفاوية والثمودية واللحيانية)، والكتابات الأوغاريتية التي

(42) تعني الطريقة الاجتزائية أو الأكروفونية طريقة ابتداع رموز الحروف الكتابية، وهي طريق تقوم على اختيار صورة أو شكلٍ ما (وغالباً ما يكون شيئاً مألوفاً بدرجة كبيرة)، ثم تسمية الصورة باسمٍ ساميٍّ مألوف أو معروف، ثم اجتزاء الصامت الأول ليكون صوتاً لهذا الشكل الكتابي (شكل/تسمية/صورة)، ينظر: يحيى عبابنة، التطور السيميائي لصور الكتابة العربية، ص20.

بلغ من احترامها لـــ (الألف) أنّها أفردته بنظام كتابي مستقل يحتوي على نظام حركي ثلاثي، فقد وضعت له ثلاثة رموز بحسب حركته، وهو أمر لم تفعله مع أي صوت آخر، وهذا أمر عام لا نحسب أن الكتابات السامية قد ندّت عنه، ما عدا الكتابة الحبشية[43].

ولم تكن العربية مختلفة عن اللغات الأخرى من لغات هذه الأرومة، فيما يخصُّ أثر الحلقية في حركة الهمزة، فقد سجل لنا المعجم الاستعمالي العربي عدداً من الاستعمالات المزدوجة التي تأثّر أحدها بهذا القانون، ومن الأمثلة على هذا:

- جاء في قوله تعالى: "فجعلهم كعصفٍ مأْكول"[44]، أنَّ أبا الدرداء قرأ: مَأْكولٍ، بفتح الهمزة[45]، وهو من قبيل إيثار الهمزة للفتح؛ لأنّها صوت حلقي.
- الثَّأْدُ هو الثرى، والثَّأَدُ بفتح الهمزة هو النّدى نفسه[46]، وهو تخصيص للدلالة محدود الأثر؛ لأنَّ الثرى هو التراب الرطب (النديّ).
- جاء في كلمة (مَحْمُوم) من الحمّى الاستعمال (مَحَموم) بفتح الحاء الحلقية[47]، وفي اللسان: الحُمَّى والحُمَّة: عِلَّةٌ يستحرُّ بها الجسمُ من الحميم، وأما حمى الإبل؛ فبالألف خاصةً، وحُمَّ الرجلُ: أصابه ذلك، وأحمَّه الله وهو مَحْمومٌ، وهو من

(43) ينظر على سبيل المثال:
Gesenius, A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament.. P. 1, Costaz, English Syriac Dictionary, P. 1, Payne Smith, A Compindious Syriac Dictionary, P. 1.
وينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص94.

(44) الفيل/5.

(45) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 512/8، ابن خالويه، مختصر في شـــواذ القـــرآن، ص180، العكبري، إعراب القراءات الشواذّ 745/2.

(46) ابن منظور (ثأد) 101/3.

(47) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 512/8.

الشواذّ[48]. وأورد ابن جني أنَّه سمع من أحد الأعراب وهو الشجري قوله: أنا مَحَمومٌ[49].

- الذَّأْجُ والذَّأَجُ: الجرع الشديد، أو الشرب، كما يعني القتل[50].
- الدَّأْبُ والدَّأَبُ: العادة والملازمة والشأنُ[51]، ومنه ما جاء في قوله تعالى: "كدأْبِ آل فرعون والذين من قبلهم كَذّبوا بآياتنا"[52]، فقد رُوِيَ عن يعقوب أنَّه ذكر قراءة كَدَأَبِ، بفتح الهمزة، وهو لغة في مصدر الفعل (دَأَبَ)[53].

وكذلك في بعض المواضع التي ورد فيها النمط (دأْب) في كتاب الله العزيز[54].

- جاء في قوله تعالى: "ولا تأخُذكم بهما رأْفةٌ في دين الله"[55]، فقد قرأ ابنُ كثير في رواية القوّاس والبزّيّ وقنبل ومجاهد وابن شنبوذ وأبو المتوكِّل، وأبو عمران الجوني: رَأَفَةٌ بفتح الهمزة[56].

---

(48) ابن منظور، لسان العرب (حمم) 155/12، وينظر: الفيروزابادي، القاموس المحيط (حمم) ص1097.

(49) ابن جني، المحتسب، 84/1.

(50) ابن منظور، لسان العرب (ذأج) 278/2، الفيروزابادي، القاموس المحيط، (ذأج) ص190.

(51) ابن منظور، لسان العرب (دأب) 368/1-369.

(52) آل عمران/11.

(53) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 389/2، والنّحاس، إعراب القرآن، 313/1.

(54) وذلك كما في قوله تعالى: "قال تزرعون سبع سنين دَأَباً" يوسف/47، فقد قرأ حفص عن عاصم وأبو حاتم عن يعقوب وموسى الزابي عن عاصم: دَأَباً، بفتح الهمزة، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب: دَأْباً بسكون الهمزة، ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 315/5، ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص349، مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع 11/2.

(55) النور/2.

(56) الزمخشري، الكشاف 47/3.

- وفي مادة (مأس) جاء: مَأَسَ بينهم يمأسُ مَأْساً ومَأَساً، بمعنى أفسد بينهم[57].

ولا يقتصر هذا الأثر المتعلِّق بالهمزة على وسط الكلمة، بل لقد طال نمطاً لغوياً في أول الكلمة وهو ما جاء في قوله تعالى: "نزَّلَ عليك الكتابَ بالحقِّ مصدِّقاً لما بين يديه وأنزَل التوراة والإنجيل"[58]، فقد قرأ الحسن: الأنجيل، بفتح الهمزة، وذكر الزمخشري أن فتح الهمزة دليل على العجمة؛ لأنَّ (أفعيل) بفتح الهمزة، عديمٌ في أوزان العرب[59]، وعلى الرغم من أنَّ كلمة (إنجيل) ليست بعربية، ولكنّها معرّبة[60]، فإنّ هذا الفتح ليس هو الدليل على العجمة، ولكنّه ناتج فيما نرى عن أثر الصوت الحنجري (الحلقي وفقاً لمصطلح العلماء القدماء)، لأنَّ الكلمة في السريانية التي يرى العلماء أنّها الأصل لهذا النمط هي ēwangellīwān< بالكسر لا بالفتح[61].

وقد أورد محررو قاموس الكتاب المقدَّس أنْ هذه الكلمة ليست من أصول سامية، فذكروا أن (إنجيل) من أصول إغريقية، من اللفظ (أونجليون) التي تعني (خبر طيب)، وذكروا أنَّها استُعْمِلَتْ في الكتابات التي تتضمَّن الشهادة الرسولية لعيسى النبي عليه السلام في سنة 150 ميلادية بمعنى (بشارة)[62].

(57) ابن منظور (مأس) 257/6.

(58) آل عمران/3.

(59) الزمخشري، الكشاف، 410/1.

(60) الجواليقي، المعرَّبُ من الكلام العربي على حروف المعجم، ص23، وشهاب الدين الخفاجي، شفاء الغليل، ص48، وذكر البشبيشي أنها سريانية معرّبة، ينظر: البشبيشي، جامع التعريب بالطريق القريب، ص37.

(61) Costaz, Syria English Dictionary, P. 4, Payne Smith, A Compendious Syriac Dictionary, P. 6.

(62) بطرس عبدالملك وجون طمسن وإبراهيم مطر، قاموس الكتاب المقدّس، ص120-121.

ومهما يكن من أمر، فإنَّ بعض المعجميين العرب، خالف هذا، وذهب إلى عروبة هذا اللفظ، فهذا ابن فارس يقول: "ويقال: الإنجيل: عربيٌّ مشْتَقٌّ من نجلت الشيء: استخرجته، كأنَّهُ أمر أُبْرِزَ وأظهر بما فيه"[63].

*** الهاء**

الفرق بين الهمزة والهاء ليس كبيراً، فمخرجهما واحد، وهو الحنجرة بتعبير المعاصرين، أو أقصى الحلق في اصطلاح القدماء، ولكن الفرق بينهما يكمن في وضع الأوتار الصوتية عند النطق بهما، فبينما تحتوي الهمزة على مرحلة الإغلاق، نجد أنَّ الهاء لا تمرُّ بهذه المرحلة، إذ لا تعدو الهاء أن تكون الانسياب الطبيعي للنفس الصادر من الرئتين دون أيِّ تدخُّلٍ من أعضاء النطق، فيما عدا اللهاة التي ترتفع مغلقةً المجرى الأنفي.

ويتشكّل صوت الهاء نتيجة ارتطام الهواء واحتكاكه بجداري الحنجرة، فوق الوترين الصوتيين قليلاً، ويظلُّ الوتران خاملين لا يتذبذبان، كما تبقى أعضاء النطق الأخرى كاللسان والشفتين خاملة ، وإن أمكن القول إنَّ الوترين الصوتيين قد يحافظان على تذبذبهما المصاحب لأصوات العلة إذا وقعت الهاء بين صوتي علّة[64].

وقد ورد في اللغة العربية ما يؤكِّد أن قانون الأصوات الحلقية قد أثَّرَ في بنية الكلمات التي تكون الهاء عيناً للفعل فيها، ومن أمثلة هذا التأثُّر:

- في قوله تعالى: "وإذ قلتم يا موسى لن نؤمنَ لكَ حتّى نرى اللهَ جَهْرةً"[65]، فقد قرأ ابن عبّاس وسهل بن شعيب وحميد بن قيس وطلحة: جَهَرَةً بفتح الهاء، وقرأ الجمهور: جَهْرَةً بتسكينها، وقد أشار علماء اللغة إلى احتمالها وجهين من وجوه

(63) ابن فارس، مقاييس اللغة (نجل) 544/2.

(64) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص88-89، وينظر:
Al-Ani, Arabic Phonology, P. 59.

(65) البقرة/55.

الدلالة، الأول: أنَّ (جَهْرَةً) و(جَهَرَةً) من المصادر، وعندها يكون المعنى واحداً، ومعنى هذا أن فتح الهاء قد جاء بسبب قضية صوتية هي تدخّل الصوت الحلقي، والثاني: أنَّ (جَهَرَة) قد تكون جمعاً لـ(جاهر)، كما في قولنا: فاسق وفَسَقَة، وعندها يكون المعنى تعالى أنَّ الجَهَرَةَ هم أنفسهم، لا عملية الرؤية[66].

والتحريك (جَهَرَة) نمط مفسَّرٌ عند الكوفيين على أنَّ الفتح جاء بتأثير الحرف الحلقي، وأمَّا البصريون، فيرون أنَّ أنهما لغتان أو صيغتان اختياريتان[67].

- وجاء في اللغة الدَّهْرُ والدَّهَرُ بالتسكين مرة، وبالفتح مرةً أخرى، ولم نجد فرقاً كبيراً بين رأي البصريين في أنّهما لغتان، ورأي الكوفيين في أنَّ السبب في هذا هو أثر الصوت الحلقي[68]؛ لأنَّ تَدَخُّلَ هذا القانون اختياري، فقد يتدخّل في بيئة استعمالية معينة، ولا يتدخّل في غيرها، وقد يتدخّل في البيئة نفسها على فترتين مختلفتين، فيخلِّف أثرين فيها، وهذا ما ندعوه الصيغ الاختيارية أو البديلة alternative forms.
- وفي قوله تعالى: "ويدعوننا رَغَبَاً ورَهَباً"[69]، جاء عدد من القراءات، منها: رَهَباً ورَهْبَاً، وقراءة تسكين الهاء هي قراءة يحيى بن وثاب والأعمش ويونس وغيرهم[70]، وما يعنينا هنا هو أنَّ (رَهْباً) و(رَهَباً)، صيغتان اختياريتان في اللغة، ففتح الهاء جاء بتأثير صوت الحلق.

(66) ينظر في هذا التوجيه: ابن جني، المحتسب، 84/1، والزمخشري، الكشاف، 282/1، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 211/1، وينظر أيضاً: ابن خالويه، مختصر في شواذّ القرآن، ص5.

(67) ابن جني، المحتسب، 84/1.

(68) ابن منظور، لسان العرب (دهر) 338/4.

(69) الأنبياء/90.

(70) الزمخشري، الكشاف، 582/2، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 336/6.

- وقد تكررت هذه القراءة في قوله تعالى: "واضمم إليك جناحك من الرَّهْبِ"[71]، فقد قُرِئت بالفتح (الرَّهَب)[72].
- وفي الحديث الشريف: "ما خالطَ قلبَ امرئٍ رَهَجٌ في سبيل الله إلا حَرَّمَ الله عليه النَّارَ"[73]، وهو نمط مفتوح الهاء، وقد استعملت اللغة سكونها، فالرَّهْجُ والرَّهَجُ: الغبارُ[74].
- وجاء في قوله تعالى: "ولا تَمُدَّنَّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم زَهْرَةُ الحياة الدنيا"[75]، قراءة الحسن والزهري وعدد كبير من القراء من غير السبعة: زَهَرَة بفتح الحرف الحلقي (الهاء)، وهي بمعنى (زَهْرة) أي: الزينة والبهجة[76].
- وفي قوله تعالى: "فلما فصل طالوتُ بالجنودِ قال إنّ اللهَ مُبتليكم بِنَهَرٍفمن شرب منه فليس مني"[77]، قرأ مجاهد وحميد وأبو السمَّال: بِنَهْرٍ، وقراءة الجمهور بفتح الحاء بالمعنى نفسه[78]، والفتح بتأثير الهاء نفسها، وهي كذلك بالصورتين في الاستعمال اللغوي[79]، وعلى هذا فالفتح والسكون صيغتان اختياريتان.

---

(71) القصص/32.

(72) الزمخشري، الكشاف، 175/3.

(73) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر 281/2.

(74) لبن منظور، لسان العرب (رهج) 328/2.

(75) طه/131.

(76) الزمخشري، الكشاف، 559/2، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 291/6، الأصبهاني، المبسوط في القراءات العشر، 298-299، وينظر: ابن منظور، لسان العرب، (زهر) 383/4.

(77) البقرة/249.

(78) الزمخشري، الكشاف 381/1. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 264/2، وابن خالويه، مختصر في شواذّ القرآن، ص15.

(79) ابن منظور، لسان العرب (نهر) 277/5، والفيروزابادي، القاموس المحيط (نهر) ص489.

- الوَهْجُ بسكون الهاء، والوَهَجُ بفتحها بتأثير الحرف الحلقي (الهاء)، وهما صيغتان اختياريتان. بمعنى حرارة الشمس والنار من بعيد[80].
- وفي قوله تعالى: "حملتْه أمُّهُ وهْنَاً على وَهْنٍ"[81]، قرأ عيسى الثقفي، والحلواني عن أبي عمرو، وعاصم الجحدري: وَهَنَاً على وَهَنٍ، وهو الضعف أيضاً[82].
- ولا يقتصر أثر الهاء وإيثارها حركة الفتح على هذه المواضع، بل يتعدّاها إلى ما هو أبعد من ذلك، ففي قوله تعالى: "ولا تَهِنُوا في ابتغاء القومِ"[83]، قرأ الحسن: ولا تَهَنوا بفتح الهاء بتأثير حرف الحلق كما فتحت دال (يَدَع)[84].

ثانياً: أصوات وسط الحلق

وينتج عن وسط الحلق صوتان أحدهما مجهور وهو العين، والآخر مهموس وهو الحاء.

* العين:

وهو من أوضح الأصوات الحلقية، لذا فقد أطلق الخليل بن أحمد على معجمه الشهير (العين) انطلاقاً من ترتيب حروف معجمه، إذ وجد أن حرف العين أدخل الحروف في الحلق[85].

وذكرنا سابقاً أنَّ العين صوت وقف إلا إذا جاءت بين صوتي علَّة، فتكون عند ذلك صوتاً متوسِّطاً بين صوت العلّة والصوت الصامتي، فهي استمرار لصوتي العلّة

(80) ابن منظور، لسان العرب (وهج) 469/2.
(81) لقمان/14.
(82) الزمخشري، الكشاف، 232/2، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 187/7.
(83) النساء/104.
(84) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 342/3.
(85) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، 47/1-48.

المحيطين بها[86]، ومن هنا يأتي تأثرها بالحركات، الفتحة خاصَّةً، فهي من الأصوات التي تؤثرها.

وقد أدى هذا الإيثار إلى توليد صيغ اختيارية بديلة نتيجة تدخُّل قانون الأصوات الحلقية في أحوال معينة وعدم تدخله في أحوال أخرى، زمانية أو مكانية، ومن مظاهر الصيغ الاختيارية الناتجة عن إيثار العين حركة الفتح:

- في قوله تعالى: "إن كنتم في ريبٍ من البَعْثِ"[87]، قرأ الحسن: البَعَثِ بفتح العين، وقد جعل الكوفيون فتح العين تخفيفاً فيما وسطه صوت حلقي، ولكن البصريين لا يقيسونه، بل يقبلونه على أنَّه مما ورد فيه لغتان[88].
- جاء في الاستعمال اللغوي: بَعُدَ الرجلُ وبَعِدَ بُعْداً وبَعَداً بتسكين العين وفتحهابمعنى هلك أو ابتعد[89]. والفتح بتأثير العين، مما أدى إلى نشوء صيغةٍ اختيارية أو بديلة.
- البَعْرُ والبَعَرُ هو رجيع ذوات الخُفِّ والظلفِ من الإبل والشاء وبقر الوحش والظباء والأرنب، إلا البقر الأهلية[90]، وفتح العين في (البَعَر) بتأثير الصفة الحلقية.

---

(86) Al-Ani, S., Arabic Phonology. PP. 62-63.

(87) الحج/5.

(88) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 352/1، والعكبري/ إعراب القراءات الشواذ 127/2، والزمخشري، الكشاف، 487/3، وأشار ابن منظور إلى أنَّ البَعْث هو الرسول، وبعث الجندي إلى الغزو، وأما البعَثُ بفتح العين فهم القوم المبعوثون، ابن منظور، لسان العرب 131/2، وأما ما تأثر بسبب الصوت الحلقي، فهو: رَجُلٌ بَعْثٌ وبَعِثٌ وبَعَثٌ، وهو الرجل الذي لا تزال همومه تؤرِّقه وتبعثه من نومه، ينظر اللسان أيضاً (بعث) 133/2.

(89) ابن منظور، لسان العرب (بعد) 108/3.

(90) ابن منظور، لسان العرب (بعر) 82/4.

- ومثله أيضاً: ماءٌ ثَعْبٌ وثَعَبٌ، أي سائل، وكذلك الدم[91].
- الثَّعْرُ والثَّعَرُ بفتح حرف العين: سائل يخرج من أصول نبات السّمر، ويقال إنّه سامٌّ إذا قطر منه شيء في العين، فإنّه يقتل[92].
- الدَّعْثُ بسكون العين، والدَّعَثُ بفتحها هو أولُ المَرَضِ[93].
- ومنه: رجلٌ ذُعْرَةٌ وذُعَرَةٌ، وهو ذو العيوب[94]. ومثله: ضُحْكَةٌ وضُحَكَةٌ، وأورد ابن منظور أنَّ (الضُّحَكَةُ ذَمٌّ، والضُّحْكَةُ أذمُّ، أي: أبلغ في الذَّمِّ[95].
- وفي قوله تعالى: "وقالوا هذه أنعامٌ وحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُها إلاّ من شاءَ بِزَعْمِهِم"[96]، قرأ ابن أبي عبلة: بِزَعَمِهِم بفتح العين[97].
- وجاء في الاستعمال اللغوي: الشَّعْثُ بسكون العين، والشَّعَث بفتحها: انتشار الأمر وخلله[98].
- الشَّعْرُ والشَّعَرُ بسكون العين مرَّة، وفتحها أخرى: نبتة الجسم مما ليس بصوف ولا وبر، للإنسان وغيره[99].

(91) ابن منظور، لسان العرب (ثعب) 279/1.
(92) ابن منظور، لسان العرب (ثعر) 119/4.
(93) ابن منظور، لسان العرب (دعث) 166/2.
(94) ابن منظور، لسان العرب، (ذعر) 354/4.
(95) ابن منظور، لسان العرب (ضحك) 459/10.
(96) الأنعام/138.
(97) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 227/4.
(98) ابن منظور، لسان العرب، (شعث) 181/2.
(99) ابن منظور، لسان العرب (شعر) 474/4.

- الصَّعْفُ والصَّعَفُ: شرابٌ لأهل اليمن يصنعُ من العنب والعسل[100]، وقد حدث الأمر نفسه مع اللغة الإثيوبية (الجعزية) في الكلمة نفسها، فهي فيها ā<f بإطالة الفتحة بتأثير العين[101].
- في قوله تعالى: " يومَ ظَعْنِكُم ويومَ إقامتِكُم"[102]، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر: ظَعَنِكُم بفتح العين، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر وخلف والأعمش عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: ظَعْنِكُم بسكون العين[103]، والمعنى في القراءتين واحد.
- في قوله تعالى: "ثمانية أزواجٍ من الضأن اثنين ومن المعزِ اثنين"[104]، قرأ الجمهور: من المَعْزِ، بسكون العين، وابن كثير في رواية القوّاس، والبزيّ وأبو عمرو وابن عامر وهشام في بعض الروايات ويعقوب وابن محيصن واليزيدي والحسن وعيسى وابن ذكوان: المَعَزِ بفتحها[105]، لمكان حرف الحلق.
- وجاء في الاستعمال العربي: النُّعْرَةُ والنُّعَرَة: الخيشوم، مرة بفتح العين وأخرى بسكونها[106].

(100) نشوان الحميري، شمس العلوم، 3739/6.

(101) Leslau, A Comparative Dictionary of Ge<ez, P. 543.

(102) النحل/80.

(103) مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات، 40/2، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 523/5، ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص375، أبو طاهر الأندلسي، العنوان في القراءت السبع ص118. والأصبهاني، المبسوط في القراءات العشر، ص265.

(104) الأنعام/143.

(105) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 239/4، ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص271.

(106) ابن منظور، لسان العرب، (نعر) 258/5.

- وفي قوله تعالى: "ومَنْ قَتَلَهُ مِنْكُم مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ من النَّعَمِ"[107]، قرأ الحسن: من النَّعْمِ بسكون العين، وأورد الزمخشري أنَّه استثقل الحركة على حرف الحلق فسكّنه[108].

وهو أمرٌ يعارضه القانون، فالأصل أنّه حرّك لأجل حرف الحلق، والتسكين صيغة اختيارية أو بديلة.

- ولا يقتصر فتح العين على وسط الكلمة، فربّما تأثرت العين بهذا القانون إذا كانت فاء للكلمة، كما في قوله تعالى: "وإنَّهُ لَعِلْمٌ للساعة فلا تَمْتَرُنَّ بها"[109]، فقد قرأ ابن عبّاس رضي الله عنه: لَعَلَمٌ، بفتح العين، فإذا كان من معنى آخر وهو العلامة[110]، فإنَّ ذلك ينفي صفة التأثر هذه.

*** الحـــاء:**

لا تختلف الحاء عن العين كثيراً، فهما من أصوات الحلق، ومن الحيِّزِ نفسه، غير أنَّ العين تمتاز بالجهر، وأما الحاء فصوت مهموس، ولذا، فإنَّ ما يجري عليهما من قوانين تخصُّ صفة الحلقية سيكون واحداً، وقد أثبتت المادة المتحصلة أن الحاء تؤثر الفتحة من بين الحركات، وهو أمر اختياري؛ لأنَّ العربية حافظت على النمطين في معجمها الاستعمالي، ومن الأمثلة على هذا:

- جاء في قوله تعالى: "وتَنْحِتون من الجبال بيوتاً فارهين"[111]، قراءة الجمهور: تَنْحِتونَ بكسر الحاء، وقراءة أبي حيوة وعيسى والحسن والكسائي في رواية عنه والعمري عن أبي جعفر: تَنْحَتونَ، بفتح الحاء الحلقية، ومن الغريب أنّ أبا حيوة

(107) المائدة/95.
(108) الزمخشري، الكشاف، 645/1.
(109) الزخرف/61.
(110) الزمخشري، الكشاف، 494/3.
(111) الشعراء/149.

قرأ: يَنْحاتون، بالفتحة الطويلة (الألف)[112]، وعلى الرغم من أنَّ القدماء قد وجّهوا هذه القراءة على أنّها إشباع للفتحة في (تَنْحَتون)، وهو أمر صحيحٌ تماماً، غير أنّهم لم يلتفتوا إلى أنّ هذا الإشباع قد جاء بتأثير الحرف الحلقي، وهو العين المفتوحة، وهو أمرٌ لا يختلف عن أحد قوانين الأصوات الحلقية في الإثيوبية الكلاسيكية (الجعزية)، وهو القانون الأول الذي أوردناه في الحديث عن قوانين هذه اللغة.

- وقد جاء الأمر نفسه في قوله تعالى: "وتنحتون من الجبال بيوتاً فاذكروا الله"[113]، إذ قرأ أبو مالك: يَنْحَتون بفتح الحاء، وقرأ الحسن: يَنْحاتون[114]، وليس في العربية مثل هذه الصيغة الفعلية ما عدا ما نشأ عن إشباع حركة الفتحة بتأثير الصوت الحلقي[115].
- الجَحْرَةُ والجَحَرَةُ: السنة المجدبة الشديدة القليلة المطر، سمِّيت بذلك؛ لأنَّها تَجْحَرُ الناسَ في البيوت[116].

وقد جاء الفتح فيها بتأثير الحاء.

(112) الآلوسي، روح المعاني، 113/19، وأبو حيان الأندلسي، البحر المحيط 39/7، الزمخشري، الكشاف، 123/3.

(113) الأعراف/74.

(114) ابن خالويه، مختصر في شواذّ القرآن، ص44، 71، الزمخشري، الكشاف، 90/2، الآلوسي، روح المعاني، 164/8، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 329/4.

(115) ليس في صيغ الزيادة في باب الأفعال صيغة تَفْعال، ولكنها تكون صيغة مصدرية، ينظر: آمنة الزعبي، مصادر الأفعال الثلاثية في اللغة العربية، دراسة وصفية تاريخية، ص119.

(116) ابن منظور، لسان العرب (جحر) 137/4-138.

- وفي قوله تعالى: "سَمَّاعون للكَذِب أكَّالون للسُّحْتِ"[117]، قرأ زيد بن عليّ رضي الله عنه: للسَّحْت، بفتح السين وسكون الحاء، كما قرأ للسَّحَت، بفتحهما[118]، وهي صيغة من الصيغ الاختيارية بفعل قانون الأصوات الحلقية.
- جاء في الاستعمال اللغوي: السَّحْرُ والسَّحَرُ، بسكون الحاء وفتحها، وهو آخر الليل، وقد نصَّ ابن منظور على أنَّ الفتح فيها جاء بتأثير الحرف الحلقي[119].
- وفي قوله تعالى: "وامرأته قائمةٌ فَضَحِكَت، فبشَّرْناها بإسحاق"[120]، قرأ محمد بن زياد الأعرابي: فضَحَكَتْ، بفتح الحاء[121]، والفتح بتأثير الحاء، وفرَّق بعض العلماء بين الصيغتين من حيث المعنى، فَضَحِكتْ من الضَّحِك، و ضَحَكَت بالفتح من معنى الحيض[122].
- وفي قوله تعالى: "وأوحى ربُّكَ إلى النَّحْلِ"[123]، قرأ يحيى بن وثّاب: النَّحَلَ، بفتح الحاء الحلقية[124].
- وفي الاستعمال اللغوي: وَحْرٌ ووَحَرٌ: أي: وَغرٌ، من الحقد[125]، والفتح بتأثير الصوت الحلقي على الأرجح.

(117) المائدة/42.

(118) قراءة زيد بن علي، ص163-164، وينظر:
Jeffery, A., Zaid Ibn <Ali Readings, Rivista Delgi Studi Orientali, Rome, 1937, P. 258.

(119) ابن منظور، لسان العرب (سحر) 406/4.

(120) هود/71.

(121) الزمخشري، الكشاف، 281/2، وابن جني: المحتسب 223/1.

(122) ابن جني، المحتسب، 223/1.

(123) النحل/68.

(124) الزمخشري، الكشاف، 417/2، والعكبري، إعراب القراءات الشواذ 768/1.

(125) ابن منظور، لسان العرب (وحر) 328/5.

ومن المفيد ذكر أنَّ تأثير الحاء لا يقتصر عليها إذا كانت عيناً للكلمة، بل ربّما يتعدَّاها إلى ما جاورها من حركات الصوامت الأخرى، كما قوله تعالى: "قال يا ابن أمّ لا تأخذ بِلِحْيَتي ولا برأسي"[126]، فقد قرئ: بِلَحْيَتي بفتح اللام، وهي لغة أهل الحجاز[127]، وهذا يعني أنّ قانون الأصوات الحلقية الذي تسعى هذه الدراسة إلى تقنينه قد تدخّل في البيئة الحجازية، مما أدى إلى تكوين نمط لغوي خاص بها، وهو نوعٌ من التباين اللهجي سببه التأثير التقدمي للأصوات الحلقية.

وقد يكون التأثير رجعياً، فيؤثِّرُ الحاء فيما بعده، كما في الاستعمال العربي: الحَلَبُ: استخراج ما في الضّرْعِ من اللبن، يكون في الشاء والإبل والبقر، وهو مصدر الفعل (حَلَب)، حَلَبَها يَحْلِبُها حَلْباً وحَلَباً[128].

*** الغين**

الغين من أصوات أدنى الحلق، وصفة الدنوِّ تتأتى من قرب المخرج الحلقي من الفم، فهي صفة مكانية نسبية، وليست صفة من صفات هيئة نطق الصوت، وأما صفته فهي الصفة الحلقية، غير أنّه من الأصوات القريبة المخرج من المنطقة اللهوية، وكذلك صوت الخاء، غير أنّ الأخير صوت مهموس، وأما الغين، فصوت مجهور.

ومن مظاهر تأثيره في بنية الكلمة وإنتاج الصيغ الاختيارية في اللغة الأنماط الاستعمالية الآتية:

- في قوله تعالى: "إلا الساعة أن تأتيهم بَغْتَةً"[129]، قرأ الحسن: بَغَتَةً بفتح الغين، وروِيَ عن أبي عمرو بن العلاء: بَغَتَّة بالفتح والتشديد، وقال الزمخشري: ما

(126) طه/94.
(127) الزمخشري، الكشاف 550/2.
(128) ابن منظور، لسان العرب (حلب) 385/1.
(129) محمد/18.

أخوفني أن تكون غلطة من الراوي، وأن يكون الصواب: بَغَتَةً من غير تشديد كقراءة الحسن[130].

- وفي الاستعمال اللغوي: البَغَرُ والبَغْرُ بفتح الغين مرة وإسكانها مرة أخرى: الشربُ بلا رِيٍّ، والبغر: داء أو عطشٌ يأخذ الإبل فتشرب فلا تروى، وتمرض عنه فتموت[131].

- وفيه أيضاً الثَّغْبُ بسكون الغين، والثَّغَبُ بفتحها، والفتح أكثر، وهو ما بقي من الماء في بطن الوادي، أو بقية الماء العذب في الأرض[132].

- وفي قوله تعالى: "ويدعوننا رَغَباً ورَهَبَاً"[133]، قرأ الأعمش، وتروى عن هارون عن أبي عمرو: رَغْباً ورَهْباً[134].

- الكلامُ الضَّغْثُ بسكون الغين، والضَّغَثُ بفتحها لمكانة صوت الحلق، هو الذي لا خير فيه، والجمع أضغاثٌ[135].

- اللُّغْزُ واللَّغَزُ واللُّغَزُ: ما ألغز من كلامٍ خشية معناه، كما يعبَّرُ به عن الحفرة التي يحفرها اليربوع في جحرهِ تحتَ الأرضِ، وقيل: هو جحرُ اليربوع والفأرِ[136].

والفتح في هذا النمط اللغوي بتأثير الغين الحلقية.

- وفي الاستعمال: المَغَرَةُ والمَغْرَةُ: بفتح الغين في الأولى، وتسكينها في الثانية، طين أحمرُ يُصْبَغُ به[137].

(130) الزمخشري، الكشاف، 535/3.
(131) ابن منظور، لسان العرب، (بغر) 83/4.
(132) ابن منظور، لسان العرب، (ثغب) 282/1.
(133) الأنبياء/90.
(134) ابن خالويه، مختصر في شواذّ القرآن، ص92، وينظر الزمخشري، الكشّاف، 582/2.
(135) ابن منظور، لسان العرب (ضغث) 184/2.
(136) ابن منظور، لسان العرب (لغز) 471/5.

- وفيه أيضاً: الوَغْرُ والوَغَرُ: الحقد والذحلُ[138].

*** الخاء:**

لقد ذكرنا أن الخاء أخت الغين، إذ تشتركان في مخرج أدنى الحلق، ولكنهما تختلفان في الجهر والهمس، ومن الأنماط التي أثَّرت فيها الخاء في بنية الكلمة، مما نتج عنه صيغتان اختياريتان (بديلتان) بسبب إيثار الخاء للفتحة الأنماط الآتية:

- في قوله تعالى: "الذين يبخلون ويأمرون النَّاسَ بالبُخْلِ"[139]، قرئ: بالبَخْلِ والبَخَلِ والبُخلِ والبُخُلِ[140]، وما يهمنا هنا هو القراءتان: الأولى والثانية، إذ نلاحظ تأثر الخاء بالسمة الحلقية وإيثارها الفتحة.
- وجاء في الاستعمال اللغوي: سَخِرَ منه وبِهِ سَخْراً وسَخَراً بمعنى هزئَ[141]، والفتح فيه بتأثير الصوت الحلقي وهو الخاء.
- جاء في الحديث: الصَّخْرَة من الجنَّة[142]، يريد صخرة بيت المقدس، والصَّخَرَة هي الصَّخْرة، من معنى الصخور[143].
- وجاء في الاستعمال اللغوي: الفَخْرُ والفَخَرُ: التمدُّحُ بالخصال[144].
- وفيه أيضاً: النُّخْرةُ والنُّخَرَةُ: مُقَدَّمُ أنف الفرس والحمار والخنزير[145].

---

(137) ابن منظور، لسان العرب (مغر) 213/5.
(138) ابن منظور، لسان العرب (وغر) 334/5.
(139) النساء/37.
(140) الزمخشري، الكشاف، 526/1، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 246/3.
(141) ابن منظور، لسان العرب (سخر) 407/4.
(142) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 15/3.
(143) ابن منظور، لسان العرب (صخر) 515/4.
(144) ابن منظور، لسان العرب (فخر) 57/5.
(145) ابن منظور، لسان العرب (نخر) 232/5.

وما قلناه سابقاً من وجود أثر قبلي أو بعدي فيما بعد الأصوات الحلقية من أصوات مجاورة أو فيما قبلها، ينطبق أيضاً على البيئة التي يشكِّل صوت الخاء واحداً من مكوِّناتها البنائية، وذلك كما في قوله تعالى: "يكاد البرق يَخْطَفُ أبصارهم"[146]، فقد قرأ مجاهد يَخْطِفُ بكسر الطاء، والفتح عند العلماء أفصح[147].

ونذكر في نهاية هذه الدراسة أن اللغة العربية وفصيلة اللغات السامية عامّة، قد نحت هذا المنحى لسبب ما مع صوت الراء أيضاً، وقد عاملته معاملة الأصوات الحلقية فيما يخص إيثار حركة الفتح، ولكن هذا الأمر بحاجة إلى تعليل آخر مختلف، ولذا، فقد آثرنا تركه إلى دراسة مستقلة.

وقد ورد في القرآن أفعال مفتوحة العين في الماضي والمضارع ولامُها أو عينُها من أحرف الحلق التي تؤثر الفتحة على غيرها من الحركات ، وقد اطردت هذه القاعدة في الأفعال القرآنية فيما عدا : نكح، نزع، رجع، بلغ، قعد، زعم، ونفخ[148].

نتائج الدراسة

- يمكن القول بعد انتهاء هذه الدراسة إنَّ تدخُّل أثر الأصوات الحلقية يصلُ إلى درجة القانون، ولكن هذا التدخُّل لم يصل في اللغة العربية إلى مرحلة التدخُّل الإلزامي، بل ظل تأثيره اختيارياً خاصاً ببعض البيئات الاستعمالية، أو المفردات الخاصة، أي أنّه لم يصل إلى مرحلة تعميم القانون على جميع المفردات التي تحتوي على الأصوات الحلقية.

(146) البقرة/20.

(147) الزمخشري، الكشاف، 219/1.

(148) الحمزاوي، الخصائص اللغوية لقراءة حفص دراسة في البنية والتركيب، ص65.

- لقد كان تأثير هذا القانون الاختياري مقتصراً في الأعم الأغلب على عين الكلمات إذا كانت حلقية، ولم يكن له إلا أثر محدود في أول الكلمات أو آخرها، وقد حدّ هذا التدخُّل من وجود تأثير للقانون فيما يسمّى الفتحة المستعارة.
- كان تأثير هذا القانون إلزامياً في اللغتين العبرية والسريانية، من المجموعة السامية الشمالية الغربية، والإثيوبية الكلاسيكية (الجعزية) من المجموعة الجنوبية، وهذا يعني أن العربية كانت في طريقها إلى (إلزامية) القانون، على الأرجح، ولكن ظروف العربية التي رافقت ثبات مستواها الاستعمالي بسبب نزول القرآن وتمثيله المستوى الفصيح حال دون هذا.
- كان العلماء العرب الأوائل على وعيٍ طيب بمسألة هذا القانون، وإيثار الأصوات الحلقية حركة الفتح.
- الاختلاف بين القدماء والمحدثين في تحديد الحيز الحلقي لم يكن خلافاً جوهرياً، بل كان خلافاً خاصّاً بالتسمية، عندما جعل القدماء حيِّزَ الحنجرة جزءاً من الحيِّز الحلقي، وأطلقوا عليه اسم (أقصى الحلق)، وهذا الخلاف لا ينفي أن الصوتين الحنجريين قد انطبق عليهما ما انطبق على الأصوات الحلقية، من إيثار الفتحة دون الحركات الأخرى.
- إنَّ أهم أثر للتدخُّل غير الإلزامي في العربية هو مسألة الصيغ الاختيارية، أو الصيغ البديلة، وقد ساهمت هذه الصيغ في ثراء المعجم العربي وتأييده بعددٍ من الصيغ الجديدة.

المصادر والمراجع

أولاً- المراجع باللغة العربية:

* إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو-مصرية، القاهرة، 1979.
* ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
* أحمد ارحيم هبو، المدخل إلى اللغة السريانية، مطبعة دار الكتاب، دمشق، 1990.
* أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 1991.
* الأصبهاني، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق سبيع حمزة حاكمي، منشورات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1986.
* الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
* إلياس البيطار، قواعد اللغة الأوغاريتية، منشورات جامعة دمشق، دمشق، 1992.
* آمنة الزعبي، في علم الأصوات المقارن، التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية، دار الكتاب الثقافي، إربد، 2005.
* آمنة الزعبي، مصادر الأفعال الثلاثية في اللغة العربية، دراسة وصفية تاريخية، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 1996.
* بروكلمان، فقه اللغات السامية، ترجمه رمضان عبدالتواب، منشورات جامعة الرياض، 1977.
* البشبيشي، جامع التعريب بالطريق القريب، حققه نصوحي أونال قرة أرسلان، منشورات جامعة القاهرة، القاهرة، 1995.

* بطرس عبدالملك وجون طمسن وإبراهيم مطر (محررون)، قاموس الكتاب المقدّس، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، بيروت 1971.
* ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، 1985.
* ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف، وعبدالحليم النجار وعبدالفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1994.
* الجواليقي، المعرَّبُ من الكلام العربي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر، طهران، 1966.
* ابن الجوزي، تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الشريف للنشر والتوزيع، الرياض، 1998.
* أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، منشورات دار الفكر، بيروت، عن مطبعة دار السعادة بمصر.
* ابن خالويه، مختصر في شواذّ القرآن من كتاب البديع، نشره المستشرق برجشتراسر، دار الهجرة، (د.ت).
* الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1988.
* شهاب الدين الخفاجي، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
* ابن درستويه، تصحيح الفصيح وشرحه، تحقيق محمد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، 1998.
* رمضان عبدالتواب، دراسات وتعليقات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة 1994.
* رمضان عبدالتواب، في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية، مع النصوص والمقارنات، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981.

* الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
* سمير استيتية، الأصوات اللغوية، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل، عمان، 2003.
* سيبويه، الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، عالم الكتب، بيروت، مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (د.ت).
* سيل، القواعد العبرية مع مراعاة لغة التوراة، (د.ن)، (د.ت).
* ابن سينا، أسباب حدوت الحروف، راجعه وقدم له طه عبدالرءوق، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1978.
* السيوطي، أزهار العروش في أخبار الحبوش، تحقيق يحيى عبابنة وزميله، دار الكتاب الثقافي، إربد، 2006.
* السيوطي، رفع شأن الحبشان، تحقيق صفوان داودي وحسن عبجي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، بيروت (د.ت).
* أبو طاهر الأندلسي، العنوان في القراءت السبع، تحقيق زهير غازي زاهد وخليل العطية، عالم الكتب، بيروت، 1985.
* عامر سليمان، اللغة الأكدية، البابلية- الآشورية، تاريخها وتدوينها وقواعدها، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1991.
* عبدالقادر جديدي، البنية الصوتية للكلمة العربية، المطابع الموحّدة، تونس، 1986.
* العكبري، إعراب القراءات الشواذّ، تحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، 1996.
* علي العناني وزملاؤه، الأساس في الأمم السامية وقواعد اللغة العبرية وآدابها، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، 1935.

* ابن فارس، مقاييس اللغة، نشره إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.
* فاروق إسماعيل، اللغة اليمنية القديمة، دار الكتب العلمية، تعز، 2000.
* فوزي الشايب، محاضرات في اللسانيات، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 1999.
* فولوس غبريال وأفرام البستاني، اللغة السريانية، النصوص والصرف، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 1965.
* الفيروزابادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998.
* قوجمان، قاموس عبري عربي، مكتبة المحتسب، عمان، 1970.
* كمال محمد بشر، علم اللغة العام، الأصوات العربية، مكتبة الشباب، القاهرة، 1987.
* ابن مجاهد، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
* محمد بدر، الكنز في قواعد اللغة العبرية، المطبعة التجارية الكبرى، عابدين، القاهرة، (د.ت).
* مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981.
* ابن منظور، لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
* النَّحاس، إعراب القرآن، تحقيق زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، 1977.
* يحيى عبابنة، التطور السيميائي لصور الكتابة العربية، دراسة تاريخية مقارنة بين العربية والكتابات السامية، منشورات جامعة مؤتة، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، 2000.
* يحيى عبابنة، قراءة زيد بن علي، جمع وتوثيق ودراسة، دار الكتاب الثقافي، إربد، 2009.

* يحيى عبابنة، اللغة الكنعانية، دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء اللغات السامية، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 2003.

ثانياً- المراجع باللغات غير العربية:

* Al-Ani, S., Arabic Phonology, Accoustical and Physiological Investigation, Indiana University, 1970.
* Ashraf, M., Arabic Phonetics, Ibn Sina's Risalah on the Points of Articulation of Speech Sounds, Translated from Medival Arabic by: Khalil Semaan, M.A. PHD. Lahore (PB), 1st Edition, 1963.
* Costaz, Syriac English Dictionary, Imprimirie Catholique, Beyrouth, 1980.
* Gesenius, A Hebrew & English Lexicon of the Old Testament, Translated by: Brown, Driver and Briggs, Clarendon Press, Oxford, 1979.
* Isteitiya, S., The Phonetics and Phonology of Classical Arabic as Described by Al-Jurjani's Al-Muqtasad, PhD Desertation, University of Michigan, 1984.
* Jeffery, A., Zaid Ibn <Ali Readings, Rivista Delgi Studi Orientali, Rome, 1937.
* Lipinski, E., Semitic Languages Outline of A Comparative Grammar, Peter's Publishers & Department of Oriental Studies, Leuven, 1997.
* Moscati, S., (et al), An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages, Otto Harassowitz, Wiesbaden, 1969.
* O'leary, D. L., Comparative Grammar of the Semitic Languages, Amsterdam, Philo Press, 1969.
* Payne Smith, A Compindious Syriac Dictionary, Clarendon Press, Oxford, 1985.
* Roach, P., English Phonetics and Phonology, A Practical Course, Cambridge Universiyu Press, 6th Edition, 1987.
* Sivan, D., A Grammar of the Ugaritic Language Leiden, NY, Koln, 1997.
* Tortora, G., Principles of Human Anatomy, 10th Edition, John Wiley & Sons, NJ, USA, 2005.
* http://ijms.sums.ac.ir/files/pdfFiles/32_1/8-Dr%20Mesbah.pdf.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق2010/12/21